

سلسلة

أشهر النساء

٤

أشهر النساء

زوجة موسى	حواء
زوجة أيوب	هاجر
بلقيس	سارة
مريم بنت عمران	أم موسى

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.afilamontada.com



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة أشهر النساء

٤

أشهر النساء

إعداد

ياسر علي نور

رقم التسلسل ٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جميع الحقوق محفوظة

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣ + هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣ +

algwthani@scs-net.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَرَخَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِاسْمِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ السَّيِّدَةُ
مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ إِلَى بَعْضِ النِّسَاءِ
الْمُؤْمِنَاتِ؛ مِنْهُنَّ مَنْ كَانَتْ زَوْجَةً لِنَبِيِّ، أَوْ أُمًّا لِرَسُولٍ، أَوْ
امْرَأَةً صَالِحَةً، آمَنَتْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاتَّبَعَتْ رَسُولَهُ،
وَتَحَمَّلَتْ فِي سَبِيلِ دِينِهَا الْكَثِيرَ مِنَ التَّعَبِ وَالْإِيْذَاءِ.

وَقَدْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ النِّسَاءُ مِثَالًا صَالِحًا، وَأُسْوَةً حَسَنَةً،
وَقُدْوَةً عَظِيمَةً لِكُلِّ امْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ تَقِيَّةٍ، تَسْعَى لِرِضَا اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَفِي هَذَا الْكِتَابِ نَتَعَرَّفُ عَلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ،
وَعَلَى حَيَاتِهِنَّ، وَمَكَانَتِهِنَّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى تَتَأَسَّى بِهِنَّ
نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ، فَيَسْعِدُنَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

*** ** *

السيدة حواءُ

كَانَ الْأَبُ الْأَوَّلُ لِلخَلْقِ جَمِيعًا يَعِشُ وَحَدَهُ بَيْنَ أَشْجَارِ
الْجَنَّةِ وَظِلَالِهَا، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُؤْنِسَ وَحْشَتَهُ، فَخَلَقَ لَهُ مِنْ
نَفْسِهِ امْرَأَةً، يَسْكُنُ إِلَيْهَا، وَتُصْبِحُ لَهُ زَوْجَةً يَأْنِسُ بِهَا، فَكَانَتْ
حَوَاءُ هَدِيَّةَ اللَّهِ إِلَى آدَمَ، فَعَاشَتْ مَعَهُ بَيْنَ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ يَأْكُلَانِ
مِمَّا فِيهَا مِنْ فَوَاكِهٍ وَخَيْرَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَظِلًّا عَلَى عَهْدِهِمَا مَعَ
اللَّهِ، لَمْ يَقْرُبَا الشَّجَرَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَيْهِمَا.

لَكِنْ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ لَمْ يَهْدَأْ لَهُ بَالٌ، فَتَرَبَّصَ بِهِمَا، وَأَخَذَ
يَدْبُرُ لَهُمَا حِيلَةً؛ لِيَعْصِيَا اللَّهَ، وَيَأْكُلَا مِنَ الشَّجَرَةِ؛ فَهَدَاهُ
تَفْكِيرُهُ الْخَبِيثُ لِمَوْطِنِ الضَّعْفِ عِنْدَ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ رَغْبَتُهُ فِي
الْبَقَاءِ وَالْخُلُودِ، فَقَالَ لَهُمَا: ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]. وَأَقْسَمَ
لَهُمَا أَنَّهُ لَهُمَا نَاصِحٌ أَمِينٌ، وَمَا إِنَّ أَكْلًا مِنَ الشَّجَرَةِ حَتَّى بَدَتْ
لَهُمَا عَوْرَاتُهُمَا، فَعَاتَبَهُمَا اللَّهُ، وَعَرَفَ آدَمُ وَحَوَاءُ أَنَّ الشَّيْطَانَ
خَدَعَهُمَا وَكَذَبَ عَلَيْهِمَا، فَندَمَا، وَتَابَا إِلَى اللَّهِ، فَقَبِلَ اللَّهُ
تَوْبَتَهُمَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَهْطَهُمَا رَبُّهُمَا إِلَى الْأَرْضِ، وَأَهْبَطَ
مَعَهُمَا الشَّيْطَانَ وَأَعْوَانَهُ، وَمَخْلُوقَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً، وَقَدَّرَ اللَّهُ
لِآدَمَ وَحَوَاءَ أَنْ يَعْمَرَا الْأَرْضَ، وَتَنْتَشِرَ ذُرِّيَّتُهُمَا فِي أَرْجَاءِ
الْمَعْمُورَةِ. وَظَلَّتْ حَوَاءُ طَائِعَةً لِلَّهِ - تَعَالَى - حَتَّى جَاءَ أَجْلُهَا.

السيدة هاجر

هي هاجر أم إسماعيل، وزوجة إبراهيم - عليهما السلام - عُرِفَتْ في التاريخ بأُم العربِ العدنانيين.

وهبها ملكُ مصرَ إلى السيدة سارة زوج إبراهيم الأولى، ولما أدركت سارة أنها كبرت في السن، ولم تنجب، وهبت هاجر لزوجها ليتزوجها، عسى الله أن يرزقه منها الولد.

وتزوج سيدنا إبراهيم السيدة هاجر، وبدت عليها علامات الحمل، ثم وضعت إسماعيل عليه السلام، فوجدت الغيرة طريقها إلى قلب السيدة سارة، وأحسّت أنها فقدت المكانة التي كانت لها في قلب زوجها من قبل، فطلبت منه أن يأخذ السيدة هاجر وابنها بعيداً عنها، فأخذها سيدنا إبراهيم إلى صحراء مكة، بأمر من الله، ولحكمة يريد لها عز وجل.

وهناك.. في صحراء مكة القاحلة.. حيث لا زرع ولا ماء.. ولا أنيس ولا رفيق.. تركها زوجها هي ووليدها.. ثم مضى في طريق عودته، وترك لهما تمرًا وماء. فنادت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي، الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟! فلم يلتفت إليها، وكأنه على يقين من وعد الله الذي لا يتخلف ولا يخيب، فأدركت أن أمراً ما يمنع زوجها من الرد عليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. فقالت في غير تردد ولا

قَلَقٍ: إِذْنٌ لَا يَضِيعُنَا. وَانصَرَفَ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ: ﴿زَيْنًا
إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ
مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم ٣٧ - ٣٨].

وَجَلَسْتُ الْأُمُّ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَرْضَعُ وَلِيدَهَا حَتَّى نَفَدَ الْمَاءُ
وَالزَّادُ، فَلَمْ تَجِدْ مَا تَرَوِي بِهِ ظَمًا طِفْلَهَا، وَقَدْ جَفَّ لَبْنُهَا، وَبَدَأَ
الطِّفْلُ يَتَلَوَّى جُوعًا وَعَطَشًا، وَيَصْرُخُ صِرَاحًا يَدْمِي قَلْبَ الْأُمِّ
الْحَنُونِ، فَأَسْرَعْتُ وَصَعِدْتُ عَلَى جَبَلِ الصَّقَا، لَتَنْظُرُ أَحَدًا
يَنْقُذُهَا هِيَ وَطِفْلَهَا مِنَ الْهَلَاكِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَجِدُ، فَتَنْزِلُ مُسْرِعَةً
وَتَصْعَدُ جَبَلَ الْمَرْوَةِ، وَتَفْعَلُ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى تَمَكِّنَ مِنْهَا
التَّعَبَ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَيِّدَنَا جِبْرِيلَ، فَضَرَبَ الْأَرْضَ بِجَنَاحِهِ؛
لِتَخْرُجَ عَيْنُ مَاءٍ بِجَانِبِ الصَّغِيرِ، فَهَرَوْلَتْ الْأُمُّ نَحْوَهَا وَهِيَ
تَحْمَدُ اللَّهَ، وَجَعَلَتْ تُغْرِفُ مِنْ مَائِهَا، وَتَنْقُذُ فَلَذَةً كَبَدَهَا.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ نَزَلَ عَلَى هَاجِرَ وَابْنِهَا أَنَّاسٌ مِنْ قَبِيلَةِ «جُرْهُمَ»،
وَشَبَّ الرِّضِيعُ بَيْنَهُمْ، وَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَلَمَّا كَبُرَ تَزَوَّجَ مِنْهُمْ
وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَا فَعَلَتْهُ السَّيِّدَةُ هَاجِرُ مِنَ الصُّعُودِ وَالسَّعْيِ
بَيْنَ الصَّقَا وَالْمَرْوَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ.

قِيلَ إِنَّهَا تُوفِيَتْ وَعِنْدَهَا مِنَ الْعُمُرِ ٩٠ سَنَةً، وَدَفِنَهَا
إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِجَانِبِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

السَّيِّدَةُ سَارَةُ

هِيَ سَارَةُ زَوْجَةُ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ لِقَوْمِهِ، ثُمَّ آمَنَ بِهِ لُوطُ ابْنُ أَخِيهِ.

وَقَدْ خَرَجَتْ سَارَةُ مُهَاجِرَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ زَوْجِهَا وَابْنِ أَخِيهِ لُوطٍ إِلَى فِلَسْطِينَ، وَلَمَّا اشْتَدَّ الْجَفَافُ فِي فِلَسْطِينَ هَاجَرُوا إِلَى مِصْرَ، وَكَانَتْ سَارَةُ غَايَةً فِي الْجَمَالِ، فَأَخْبَرَ الْجُنُودُ فِرْعَوْنَ أَنَّ امْرَأَةً جَمِيلَةً حَضَرَتْ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ بِالْأَمْرِ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّكَ زَوْجَتِي يَغْلِبُنِي عَلَيْكَ، فَإِنْ سَأَلْتُكَ فَأَخْبِرِيهِ بِأَنَّكَ أُخْتِي، وَأَنْتِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرَكَ وَغَيْرِي».

وَطَلَبَ فِرْعَوْنُ مِنْ جُنُودِهِ أَنْ يَحْضُرُوا هَذِهِ الْمَرْأَةَ، وَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ دَعَتْهُ اللَّهُ أَلَّا يَخْذُلَهَا، وَأَنْ يَحِيطَهَا بِعَنَائَتِهِ، وَأَقْبَلَتْ تَتَوَضَّأُ وَتُصَلِّي وَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فِرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الْكَافِرَ». فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهَا، فَكَانَ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهَا شَلَّتْ يَدُهُ، فَقَالَ لِمَنْ أَتَى بِهَا: اذْهَبْ بِهَا فَإِنَّكَ لَمْ تَأْتِ بِإِنْسَانٍ، وَأَمْرُهَا بِجَارِيَةٍ، وَهِيَ «هَاجِرَةٌ».

وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ وَزَوْجُهُ إِلَى فِلَسْطِينَ مَرَّةً أُخْرَى، وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَالسَّنُونَ وَلَمْ تُنْجَبْ سَارَةُ ابْنًا لِإِبْرَاهِيمَ، فَكَانَ يَؤُورُهَا

أَنَّهَا عَاقِرٌ لَا تَلِدُ، فَجَاءَتْهَا جَارِيَتُهَا هَاجِرٌ ذَاتَ مَرَّةٍ؛ لَتَقْدَمَ
 الْمَاءَ لَهَا، فَوَجَدَتْهَا سَارَةُ صَالِحَةً لِأَنَّ تَهَبَهَا لَزَوْجَهَا، فَتَزَوَّجَهَا
 إِبْرَاهِيمُ، وَلَكِنْ شَيْئًا مِنَ الْغِيَرَةِ بَدَأَ يَتَحَرَّكُ فِي نَفْسِ سَارَةَ بَعْدَ
 أَنْ ظَهَرَتْ عِلَامَاتُ الْحَمْلِ عَلَى هَاجِرَ، فَلَمَّا وَضَعَتْ هَاجِرُ
 طِفْلَهَا إِسْمَاعِيلَ طَلَبَتْ سَارَةُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَبْعِدَهَا وَابْنَهَا،
 فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ هَاجِرَ وَابْنَهَا الرِّضِيعَ إِلَى صَحْرَاءِ مَكَّةَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ نَفَرٌ لَزِيَارَةِ إِبْرَاهِيمَ؛ فَذَبَحَ عَجَلًا، وَقَدَّمَهُ
 إِلَيْهِمْ، لَكِنَّهُ دُهْشَ لِمَا وَجَدَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ
 جَاءُوا لِعَذَابِ قَوْمِ سَدُومَ؛ لِأَنَّهُمْ عَصَوْا نَبِيَّ اللَّهِ لُوطًا، وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ.
 وَقَبْلَ أَنْ تَتْرَكَ الْمَلَائِكَةُ إِبْرَاهِيمَ بِشْرُوهُ بِأَنْ زَوْجَتُهُ سَارَةُ سَوْفَ
 تَلِدُ وَلَدًا اسْمُهُ إِسْحَاقُ، وَأَنَّ هَذَا الْوَلَدَ سَيَكْبُرُ وَيَتَزَوَّجُ وَيُولِدُ لَهُ
 وَلَدٌ يَسْمِيهِ يَعْقُوبُ، فَلَمَّا سَمِعَتْ سَارَةُ كَلَامَهُمْ، لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ
 تَصْبِرَ عَلَى هَوْلِ الْمَفَاجَأَةِ، فَعَبَّرَتْ عَنْ فَرَحِهَا، وَدَهَشَتِهَا كَمَا
 تُعْبِرُ النِّسَاءُ؛ فَصَرَخَتْ تَعْجَبًا مِمَّا سَمِعَتْ وَقَالَتْ: ﴿قَالَتْ يَنْوِلْنِي
 ۖ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ٧٢ قَالُوا
 أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ
 حَمِيدٌ مُجِيدٌ ﴿هُود: ٧٢ - ٧٣﴾. وَبِالْفِعْلِ حَمَلَتْ سَارَةُ بِإِسْحَاقَ
 وَوَضَعَتْهُ، فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهِ؛ وَمِنْهُ انْحَدَرَ نَسْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
 وَقَدْ مَاتَتْ سَارَةُ وَعُمُرُهَا ١٢٧ عَامًا، وَدُفِنَتْ فِي فِلَسْطِينَ.

أُمُّ مُوسَى

رَأَى فِرْعَوْنُ فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا أَفْرَعْتُهُ، فَدَعَا الْمُنْجِمِينَ
لِتَأْوِيلِهَا فَقَالُوا: سَوْفَ يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ غُلَامٌ يَسْلُبُكَ
الْمُلْكَ، وَيَبْدُلُ دِينَكَ. فَجَنَّ جُنُونَ فِرْعَوْنَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ فِي
كُلِّ مَكَانٍ لِقَتْلِ كُلِّ غُلَامٍ يُولَدُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَتَحْتَ غَيُومِ الْبَطْشِ السُّودَاءِ، وَرِيَّاحِ الْفَرْعِ الْعَاتِيَةِ،
وَصَرَخَاتِ الْأُمّهَاتِ، وَضَعَتْ أُمُّ مُوسَى وَلِيدَهَا، وَتَمَلَّكَهَا
الْخَوْفُ الشَّدِيدُ عَلَيْهِ، وَرَاحَتْ تَبْكِي حَتَّى جَاءَهَا وَحْيُ اللَّهِ بِأَنْ
تَضَعَهُ دَاخِلَ صُنْدُوقٍ وَتَلْقِيَهُ فِي النَّيْلِ، فَذَهَبَ مَعَ الْمَاءِ الَّذِي
احْتَمَلَهُ حَتَّى تَوْقِفَ أَمَامَ قَصْرِ فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ،
أَوْقَعَ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِهَا، فَقَالَتْ لِرُجُوعِهَا: ﴿قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا
نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩].

وَكَادَ قَلْبُ أُمِّ مُوسَى يَتَوَقَّفُ خَوْفًا عَلَى ابْنِهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ
صَبَّرَهَا، وَثَبَّتَهَا، وَقَدْ أَرْسَلَتْ ابْنَتَهَا تَتَّبِعُ الصُّنْدُوقَ حَتَّى
عَلِمَتْ مَكَانَهُ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ جَمِيعَ الْمَرْضَعَاتِ عَلَى مُوسَى
حَتَّى جَاءَتْ أُمُّهُ وَأَرْضَعَتْهُ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ إِلَى بَيْتِهَا، وَتَكَفَّلَتْ
امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ بِنَفَقَاتِهِ، وَبِذَلِكَ رَجَعَتْ أُمُّ مُوسَى بِابْنِهَا رَاضِيَةً
مُطْمَئِنَّةً، وَعَاشَ مُوسَى وَأُمُّهُ فِي حِمَايَةِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ،
وَتَبَدَّلَ الْحَالُ بِفَضْلِ صَبْرِ أُمِّ مُوسَى وَإِيمَانِهَا.

زوجة موسى

يقول ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة؛ صاحب يوسف حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَنَهُ﴾ [يوسف: ٢١]، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿يَتَأَبَّتِ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر.

ولكن ما الذي أخرج موسى من مصر إلى أرض مدين؟! ذات يوم رأى موسى رجلين يقتتلان؛ أحدهما من قومه «بنو إسرائيل»، والآخر من آل فرعون. فاستغاث الإسرائيلي بموسى، فدفع المصري بيده فمات على الفور، وفي اليوم التالي تشاجر الإسرائيلي مع رجل آخر، فاستغاث بموسى مرة ثانية، فقال له موسى: إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ. فخاف الرجل وقال: أتريدُ أَنْ تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس. فعلم فرعون وجنوده بخبر قتل موسى للرجل، فجاء رجل من أقصى المدينة يحذر موسى، فأسرع بالخروج من مصر، وظل ينتقل حتى وصل إلى أرض مدين في جنوب فلسطين، وجلس بالقرب من بئر، فوجد الرعاة يسقون ماشيتهم، وعلي مصرية منهم تقف امرأتان تمنعان غنمهما عن ورود الماء؛ استحياء من مزاحمة الرجال، فذهب موسى إليهما وسألهما عن أمرهما، فأخبرتاه بأنهما لا تستطيعان السقي إلا بعد أن ينتهي الرجال من سقي ماشيتهم، وأبوهما شيخ كبير، فتقدم وسقي لهما، ثم جلس عند شجرة يناجي ربه:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وعادت الفتاتان إلى أبيهما، فأخبرتا بقصة الرجل القوي الذي سقى لهما، مروءةً منه وفضلاً، فطلب الأب من إحدى ابنتيه أن تذهب لتدعوه، فجاءت إليه إحدى الفتاتين تمشي على استحياء، لتبلغه دعوة أبيها: ﴿إِنِّي أَدْعُوكَ لِجَزْءِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]. واستجاب موسى للدعوة، فلما وصل إلى الشيخ وقصّ عليه قصته، طمأنه الشيخ بقوله: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

وعندئذ أشارت إحدى الفتاتين على أبيها بما تراه صالحاً لهم ولموسى: ﴿قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتْ اسْتِجْرَاهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فقال الشيخ له: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٍّ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٢٧] قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ [القصص: ٢٧ - ٢٨].

ولما وفى موسى الأجل وعمل في خدمة صهره عشر سنين، أراد أن يرحل إلى مصر، فخرج ومعه امرأته وما أعطاه الشيخ من الأغنام، فسار موسى من مدين إلى مصر.

زوجة أيوب

أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْتَبِرَ أَيُّوبَ فِي إِيْمَانِهِ، فَأَنْزَلَ بِهِ الْبَلَاءَ، فَضَاعَ مَالُهُ، وَمَاتَ أَوْلَادُهُ، وَاعْتَلتْ صِحَّتُهُ، لَكِنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ مَا أَزْدَادَ إِلَّا إِيْمَانًا، وَكَلَّمَ أَزْدَادَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ؛ أَزْدَادَ شُكْرَهُ لِلَّهِ. وَمَرَّتِ الْأَعْوَامُ عَلَى أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ مَرِيضٌ، وَأَزْدَادَ أَلَمُهُ حِينَمَا بَعُدَ عَنْهُ الصَّدِيقُ، وَفَرَّ مِنْهُ الْحَبِيبُ، وَلَمْ يَقِفْ بِجَوَارِهِ إِلَّا زَوْجَتُهُ الْعَطُوفُ؛ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الرَّحِيمَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي لَمْ تُفَارِقْ زَوْجَهَا، أَوْ تَطْلُبُ طَلَاقَهَا، بَلْ كَانَتْ نَعَمَ الزَّوْجَةِ الْمُعِينَةِ لَزَوْجِهَا عَلَى مُحِنتِهِ، فَأَظْهَرَتْ لَهُ مِنَ الْحَنَانِ مَا وَسَّعَ قَلْبَهَا، وَاعْتَنَتْ بِهِ مَا اسْتَطَاعَتْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَلَمْ تَشْكُ مِنْ هُمُومِ آلَامِهِ، أَوْ ضَيَاعِ مَالِهِ، أَوْ مَوْتِ أَبْنَائِهَا، وَإِنَّمَا ظَلَّتْ مَعَهُ سَبْعَ سِنِينَ - رَاضِيَةً حَامِدَةً، صَابِرَةً مُؤْمِنَةً، تَعْمَلُ بِعِزْمٍ وَقُوَّةٍ؛ لَتُطْعِمَهُ، وَتَقُومَ عَلَى أَمْرِهِ، وَقَاسَتْ مِنْ إِيْذَاءِ النَّاسِ مَا قَاسَتْ. وَشَعَرَ أَيُّوبُ - مَرَّةً - أَنَّ الشَّيْطَانَ وَسَّوسَ لَامْرَأَتِهِ، فَأَقْسَمَ أَنْ يَضْرِبَهَا مِثْلَ سَوْطٍ إِذَا شَفَاهُ اللهُ، ثُمَّ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَشْفِيَهُ، فَشَفَاهُ. وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِهَذِهِ الزَّوْجَةِ الصَّابِرَةِ الرَّحِيمَةِ أَنَّ أَمَرَ اللهِ أَيُّوبَ أَنْ يَأْخُذَ حِزْمَةً بِهَا مِثْلُ عَوْدٍ مِنَ الْقَشْرِ، وَيَضْرِبَهَا بِهَا ضَرْبَةً خَفِيفَةً رَقِيقَةً مَرَّةً وَاحِدَةً؛ لِيَبْرَ قَسَمَهُ، جَزَاءً لَهُ وَلِزَوْجِهِ عَلَى صَبْرِهِمَا عَلَى ابْتِلَاءِ اللهِ.

السيدة بلقيسُ

هي بلقيسُ بنتُ شَراحيلَ، ملكة سبأ، تمكَّنت من الملك بعد مقتل عمرو ذي الأذعار، فبايعها قومها وولَّوها الحكم، فأدارت شؤون البلاد بشجاعة وحكمة، ورممت سدَّ مَآربَ الشَّهير، وشيدت القصور، وازدهرت على يديها التجارة والزراعة، وزادت ثروات البلاد واستقرت أحوال الناس.

وكانت بلقيسُ تعبدُ الشمسَ هي وقومها، وكان ذلك في أيام نبي الله سليمان عليه السلام، فعلم بأمرهم من الهدهد، فأرسل معه رسالةً لملكهم، يدعوها وقومها إلى الإسلام.

وبينما كانت بلقيسُ في فراشها، دخل عليها الهدهد من النافذة، وألقى عليها الكتاب، فقرأته، ثم جمعت وزراءها، وقالت لهم: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ٢٦ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٧﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتَوْهُ مُسْلِمِينَ ﴿[النمل: ٢٩ - ٣١]، ثم طلبت منهم الرأي والمشورة، فأجابها

القوم: ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣] فأرادت أن تصرف قومها عن الحرب،

فقالت لهم: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. ثم قالت بحكمة

بالغة وحسن تدبير: ﴿وإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ

الْمُرْسَلُونَ ﴿ [النمل: ٣٥] وأخبرتهم أنه إن كان ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبياً فلن يقبل الهدية، ولن يرضي منا إلا أن نتبعه على دينه. ووافق القوم على ذلك، وانصرفوا. فلما جاءت رُسُلُ بلقيسَ بالهدية إلى سليمان، قال لهم: ﴿أَتُمِذُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُمُ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيَتِكُمْ نَفَرَحُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِمِجْثَدٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ [النمل: ٣٦ - ٣٧]. فلما علمت بلقيسُ ذلك أرسلت إلى سليمان تُخبره أنها سوف تأتي إليه، وأمرت جنودها بحراسة عرشها، وخرجت من مُلكها متجهة ناحية الشمال، وقبيل حُضورها، أرادَ سليمان أن يبين لها قدرة الله وعظمته، فطلب من جنوده أن يحضروا عرشها، وبالفعل كان عرش بلقيس أمام نبي الله سليمان في لمح البصر. ولما رأت بلقيسُ ملكَ سليمان، ورأت عرشها، والصرح الزجاجي الذي يجري من تحته الماء، وما وهبه الله لنيه سليمان قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهكذا أسلمت بلقيسُ لله طوعاً مع سليمان عليه السلام. ثم آمن قومها، فتزوجها سليمان وأنجب له ولداً، إلا أنه توفي شاباً، وتوفيت بعده بلقيسُ في أنطاكية - رضي الله عنها -.

السيدة مريم بنت عمران

كان عمران بن مأتان وزوجته حنة بنت فاقوذ يعبدان الله ولا يشركان به شيئاً، وكان الزمان يمرُّ بهما دون ولد يؤنسهما. وذات يوم جلست حنة بين ظلال الأشجار، فرأت عصفورة تُطعم صغيرها، فتحركت بداخلها غريزة الأمومة، فدعت الله أن يرزقها ولداً حتى تنذرهُ لخدمة بيت المقدس، فتقبل الله دعاءها، ولكن حكمته اقتضت أن يكون الجنين أنثى، فكانت السيدة مريم ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «كل بني آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها» [مسلم]. لكنَّ القدر كان يخفي لمريم اليتيم، فقد تُوفي أبوها وهي طفلة صغيرة، وأخذتها أمها إلى الهيكل؛ استجابةً لنذرهما، ودعت الله أن يتقبلها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. ولَمَّا رآها الأخبارُ تنازعوا على من يكفلها، فقال زكريا - عليه السلام -: أنا آخذها، وأنا أحقُّ بها؛ لأنَّ خالتها زوجتي. لكنَّ الأخبارَ أبوا ذلك، فقال لهم زكريا: نقترعُ عليها، بأن تُلقِي

أَقْلَامَنَا الَّتِي نَكْتُبُ بِهَا التَّوْرَةَ فِي النَّهْرِ، وَمَنْ يَسْتَقِرُّ قَلَمُهُ
يَكْفُلُهَا، فَأَخَذَ النَّهْرُ أَقْلَامَهُمْ، وَظَهَرَ قَلَمُ زَكَرِيَّا فَكْفَلَهَا. وَكَانَ
عُمَرُ مَرْيَمَ حِينَئِذٍ لَا يَتَجَاوَزُ عَامًا، فَجَعَلَ لَهَا زَكَرِيَّا خَادِمَةً فِي
مَحْرَابِهَا ظَلَّتْ مَعَهَا حَتَّى كَبُرَتْ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا حَتَّى
يَسْتَأْذِنَهَا، وَكَانَ يَأْتِي إِلَيْهَا بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَكِنَّهُ كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا قَدَمَتْ لَهُ طَبَقًا مُمْتَلِنًا بِالْفَاكِهِةِ، فَيَتَعَجَّبُ زَكَرِيَّا،
حَيْثُ يَرَى فَاكِهِةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهِةَ الشِّتَاءِ فِي
الصَّيْفِ، فَيَقُولُ لَهَا فِي دَهْشَةٍ: مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ فَتَقُولُ: ﴿هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].
فَلَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا مَا رَأَى، دَعَا اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَهُ وَلَدًا يُسَاعِدُهُ
وَيَكْفِيهِ مُؤَنَةَ الْحَيَاةِ، فَرَزَقَهُ اللَّهُ بِبَحْيٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلَمَّا أَصْبَحَ
زَكَرِيَّا شَيْخًا كَبِيرًا، وَلَمْ يَعْذُ قَادِرًا عَلَى خِدْمَةِ مَرْيَمَ، قَامَ
بِكِفَالَتِهَا ابْنُ خَالَهَا يُوسُفُ النَّجَارُ، وَكَانَ رَجُلًا تَقِيًّا شَرِيفًا خَاشِعًا
لِلَّهِ، فَظَلَّ يَخْدُمُهَا حَتَّى بَلَغَتْ سِنَّ الشَّبَابِ، فَضَرَبَتْ مَرْيَمُ عَلَى
نَفْسِهَا الْحِجَابَ، فَكَانَ يَأْتِيهَا بِحَاجَتِهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ مِنْ
خَلْفِ السَّتَارِ، فَلَا يَرَاهَا أَحَدٌ وَلَا تَرَى أَحَدًا. وَبَيْنَمَا مَرْيَمُ مُشْغَلَةٌ
فِي أَمْرِ صَلَاتِهَا وَعِبَادَتِهَا، جَاءَهَا جَبْرِيلُ بِإِذْنِ رَبِّهَا عَلَى هَيْئَةِ
رَجُلٍ لَيْسَ رُهَا بِالْمَسِيحِ وَلَدًا لَهَا، فَأَخَذَ بِكَمِّهَا، وَنَفَخَ فِي جِيبِ
دَرْعِهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا ظَهَرَ حَمْلُهَا اسْتَحْيَتْ، وَهَرَبَتْ حَيَاءً

وخوفاً من قومها، فأثاها المخاضُ فتساندتُ إلى جذعِ نخلةٍ
تَبْكِي وتقولُ: ﴿يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾
[مريم: ٢٣]. حينئذٍ أرادَ الله أن يسكنَ خوفُها فبعثَ إليها جبريلَ
﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ﴿٢٤﴾
وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ ﴿٢٥﴾ فَكُلِي
وَأَشْرِي وَقَرِي عَيْنًا فَاِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤ - ٢٦].

فاطمأنتُ نفسُ مريمَ، وأكلتُ وشربتُ حتى قويتُ،
فحملتُ ابنها، وانطلقتُ إلى قومها، فاتهموها بالفاحشةِ، فلمْ
تتكلَّم، وأشارتُ إلى ابنها الرضيع، فتكلَّم بقدرَةِ الله، وبرأُ أمَّهُ
أمامَ النَّاسِ جَمِيعًا، وظهرتُ براءةُ مريمَ، وحمدتُ الله تعالى.
وخافت مريمَ على ابنها من اليهود وملِكهم الظالم،
فهاجرت بابتها إلى مصر، ومكثت بها اثنتي عشرة سنة، ثم
عادت إلى فلسطين بعد موت هذا الملك، واستقرت ببلدة
الناصرية، وظلت فيها حتى بلغ المسيح ثلاثين عاماً، فبعثه الله
برسالته، فشاركته أمه أعباءها، حتى إذا أراد اليهود قتله،
رفعه الله إليه، وتوفيت مريم بعد ذلك بخمس سنوات، وكان
عمرها حينئذٍ ثلاثاً وخمسين سنةً.

سلسلة أشهر النساء

- ١ - أمهات المؤمنين
- ٢ - أمهات النبي ﷺ
- ٣ - بنات النبي ﷺ
- ٤ - أشهر النساء
- ٥ - أشهر الشهيديات
- ٦ - أشهر الزاهدات
- ٧ - أشهر الخطيبات
- ٨ - أشهر المجاهدات
- ٩ - أشهر الفقيهات
- ١٠ - أشهر الشاعرات